التوبة

انتكس بعد توبته

س ـ تربيت في بيت عائلتي المسلمة الملتزمة في الغرب، مع الأسف في سن المراهقة سمحت لي نفسي أن يقودها الشيطان واقترفت العديد من الذنوب خلال سنوات حتى أنني خرجت عن الإسلام.

حاولت التوبة والعودة خلال السنتين الماضيتين، أديت أركان الإسلام الخمسة جميعها، وتصدقت بكرم، وشاركت في الدعوة، وساعدت المسلمين، أحسن معاملة زوجتي ووالداي.

مع ذلك فإن قلبي يتردد كثيراً، بعض الأحيان أكون مقتنع جداً بالحق، ولكن في الغالب أنا صم بكم أكتشف كثيراً أن قلبي مغرور جداً، ذنوب وكره للحق، حاولت كثيراً أن أكبت هذه الأحاسيس السلبية ولكنني لم أستطع أن أتجاوزها.

أريد أن أصبح مسلمًا ثانية ولكنني حاليًا في موقف سلمت نفسي فيه لحياة الطاغوت.

قرأت كتبًا لا عد لها واستمعت لمحاضرات كثيرة، ولكن بدون جدوى، أريد أن أنجح في هذه الحياة وأنجو من النار، ما الذي أستطيع أن أفعله؟ هل يجب أن أقول الشهادة مرة أخرى؟ أرجو أن تساعدني.

ج ـ سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ للسؤال التالي: أنا شاب قد أسرفت على نفسي في المعاصي كثيراً، حتى إنني لا أصلي في المسجد، ولم أصم رمضان كاملاً في حياتي، وأعمل أعمالاً قبيحة أخرى،

وكثيـرًا ما عاهدت نفسي على التـوبة، ولكني أعود إلى المعصـية، وأنا أصاحب شبابًا في حين ليسوا مستقيمين تمامًـا، كما أن أصدقاء إخواني كثيرًا ما يأتوننا في البيت وهم أيضًـا ليسوا صالحين، ويعلـم الله أنني أسرفت على نفسي كثـيرًا في المعاصي وعملت أعمالاً شنيعة، ولكننـي كلما عزمت على التوبة أعود مرة ثانية كـما كنت، أرجـو أن تدلوني على طريق يـقربني إلى ربي ويـبعـدني عن هذه الأعمال السيئة.

فأجـاب ـ رحمه الله تعالى ـ: يقـول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قُلْ يا عبادي الَّذين أسْرفُوا علىٰ أنفُسهمْ لا تقْنطُوا من رَّحْمة اللَّه إنَّ اللَّهَ يَغْفرُ الذُّنُوب جميعًا إنَّهُ هُو الْغَفُورُ الرَّحيمُ﴾ (الزمر:٥٣)، أجمع العلماء أن هذه الآية الكريمة نزلت في شـأن التائبين، فمن تاب من ذنوبه توبة نصـوحًا غـفر الله له ذنوبـه جمـيعًـا لهذه الآية الكريمة، ولقـوله سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمنُوا تُوبُوا إلَى اللَّه تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ ربُّكُمْ أَن يُكفّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتكُمْ ويُدْخلكُمْ جنَّات تجْري من تحْتها الأَنْهَارُ﴾ (التحريم:٨)؛ فعلَّق سبـحانه تكفير السـيئات ودخـول الجنات في هذه الآية بالتـوبة النصوح، وهي التـي اشتـملت على ترك الذنوب والحذر مـنها، والندم على ما سـلف منها، والعزم الـصادق على أن لا يعود فيها تعظيمًا لله سبحانه ورغبة في ثوابه وحذرًا من عقابه.

ومن شرائط التوبة النصوح رد المظالم إلى أهلها، أو تحللهم منها، إذا كانت المعصية مظلمة في دم أو مال أو عرض، وإذا لم يتيسر استحلال أخيه من عرضه دعا له كثيرًا وذكره بأحسن أعماله التي يعـملها في المواضع التي اغتابه فيها، فإن الحسنات تكفر السيئـات، وقال سبحانه: ﴿وتُوبُوا إلَى اللَّه جميعًا أيُّهَا الْمُؤْمنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفلحُون﴾ (النور:٣١)؛ فعلق ـ عزَّ وجلَّ ـ في هذه الآية الفـلاح بالتوبة، فدل ذلك على أن التائب مفلح سعيد، وإذا أتبع التـائب توبته بالإيمان والعمل الصالح محا الله سيئـاته وأبدلها حسنات، كما قال سـبحانه في سورة الفرقـان لما ذكر الشرك والقتل بغـير حق والزنا: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقيَامَة

ويخلد فيه مهانا (٦٩) إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠).

ومن أسباب التوبة الضراعة إلى الله سبحانه وسؤاله الهداية والتوفيق، وأن يمن عليك بالتوبة وهو القائل سبحانه: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ (غافر: ٦٠)، وهو القائل - عزَّ وجلَّ -: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة: ١٨٦).

ومن أسباب التوبة أيضًا والاستقامة عليها صحبة الأخيار والتأسي بهم في أعمالهم الصالحة، والبعد عن صحبة الأشرار، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1].

وقال ﷺ: «مثل الجليس الصالح كصاحب المسك إما أن يحذيك. أي يهديك هدية. وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة»[2].

(مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - فتاوى العقيدة - القسم الثاني، ص٦٤٠)

أما بالنسبة لتجديد إسلامك فإن كنت فعلت ما يخرجك عن الإسلام بالكلية فعليك بنطق الشهادتين والدخول في دين الإسلام الذي خرجت منه، وإن كان ما فعلته ذنوبًا وكبائر لا تخرجك عن ملة الإسلام فتكفيك التوبة بشروطها كما تقدم، واحذر اليأس من رحمة الله واسلك سبيل النجاة، وفقنا الله وإياك لكل خير، وصلى الله على نبينا محمد، نسأل الله - عزَّ وجلَّ - أن يمن علينا وعليك بالتوبة النصوح وأن يتجاوز عنا وعنك وأن يفرج عنك ما أنت فيه، وأن يجمعنا وإياك في جنات النعيم إخوانًا على سرر متقابلين.. آمين. («الموسوعة» رقم ٥٠٩٢)

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٦٨٢٨).

يقول: إنه أكبر مذنب في العالم

س ـ إنني أكبر مذنب في العالم، الزنا في دمي، ولا أعرف كم مرة ارتكبت الاستمناء حتى في هذا الشهر الفضيل «رمضان».

إنني على شفا فقدان الأمل في المغفرة فقد سمعت أن من لا يحصل على المغفرة في هذا الشهر فيجب أن يدمر، وأنا في حالة مدمرة، وليس عندي أي أمل، فماذا أفعل حتى أتوب؟

إذا شاء الله فسوف يغفر لي أفعالي الشنيعة وما هي إشارة قبول توبتي؟ وكيف أبعد عن هذه المعاصي؟ لقد تبت كثيراً ولكني أعود للمعاصي.

إنني أريد أن أتزوج لكن والداي (من شبه القارة الهندية) لا يسمحون لي بذلك، ولا أستطيع أن ألومهم لأنني يجب أن أطيعهم، لكن في أمريكا لا أستطيع أن أسيطر على نفسي.

تفضل الله علي فإنني أعمل عملاً جيداً فهل هذا علامة على غضب الله علي؛ لأنه أعطاني مالاً لأقع في المعاصي؟ أريد أن أتوب وأعود إلى ربي، فماذا أفعل؟

ج ـ الحمد لله، إن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يحرم على الناس إلا ما يستطيعون تركه، ولم يوجب عليهم شيئًا لا يستطيعون فعله؛ لذا فإن الشيطان هو الذي يوهمك بأنك لا يمكن أن تتوب، وما الذي يمنعك من التوبة؟

ولكن لابد أن تسلك الوسائل التي تعينك على الابتعاد عن هذه المعصية، ومن أهم الأشياء في ذلك هو الزواج، وإذا لم تستطع فحاول أن تسلك ما أرشد إليه النبي ﷺ ألا وهو الصيام، فحاول أن تصوم شيئًا من الأيام التي يستحب صيامها، كيوم الاثنين والخميس، أو ثلاثة أيام من كل شهر، وابتعد

عما يثير شهوتك وغريزتك من النظر الحرام، وعن المشاهد التي تثير الغرائز، وعن التفكير في الشهوات، واشغل تفكيرك بما يعود عليك بالنفع، واحرص على البحث عن صحبة صالحة تعينك على الاستمرار على طريق الطاعة.

أما عملك الجيد فلا علاقة له بهذا؛ فقد يوفق الله الرجل الصالح لعمل جيد، وقد يحرم الرجل الفاجر منه، فالرزق أمر بيد الله ـ تبارك وتعالى ـ وإن كان قد يبتلي بعض عباده بالتوسيع في الرزق أو التضييق فيه.

وعلامة قبول توبتك أن تقلع عن المعصية ولا تعود إليها، وحين تفوتك التوبة في رمضان فاحرص على تحقيقها في غيره، نسأل الله أن يتوب علينا جميعًا، وصلى الله على نبينا محمد.

(الشيخ محمد الدويش ـ «الموسوعة» رقم ٨٣٧٦)

obeikandl.com